University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الخامس والعشرون – 02 / أغسطس( 2017)

# القضية الأرمينية وتداعياتها على الدولة العثمانية خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)

**د. عثمان محمد داوود.**

( عضو هيأة التدريس بكلية الآداب والعلوم / سلوق - جامعة بنغازي – ليبيا )

**الملخص :**

شهد تاريخ الدولة العثمانية الكثير من المشاكل والتي تعاملت معها هذه الدولة كل حسب ظروفها وأسبابها وطبيعتها خوفا من تداعياتها ، وحيث أن هذه الدراسة تتناول المشكلة الأرمينية التي كانت نتائجها علي الدولة العثمانية كبيرة جدا فقد فتحت الأبواب لتدخل بعض الدولة الأجنبية في شؤون الدولة العثمانية حسب مصالحها . المتتبع لهذه المشكلة يقف أمام وضعها الاستثنائي نظرا لخلفية هذه الإثنية سواء الدينية أو العرقية ، بدأت المشكلة الأرمينية في وقت مبكر عن فترة موضوع هذه الدراسة، فبعد أن كان الأرمن يعيشون مسالمين في إطار الدولة العثمانية حتي أطلق عليهم (( الملة الصادقة )) يبدو أنه و نتيجة للكثير من الأسباب الداخلية و الخارجية والتي ظهرت في بداية القرن التاسع عشر وجعلت الأرمن يحاولون إستغلال هذه الأسباب من أجل تحقيق أمانيهم في الحصول علي الحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية ثم تطورت مطالبهم إلي الإستقلال التام . مرت القضية الأرمنية بعدة مراحل حتى وصلت إلى مرحلة العنف والصدام الدموي مع السلطات العثمانية وقد إستغلت هذه القضية من بعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية كل حسب مصالحها في الدولة العثمانية ، من جهة أخرى حاولت الدولة العثمانية معالجة هذه القضية بالمهادنة تارة وبالعنف تارة أخرى من أجل القضاء عليها لما تمثله تداعياتها من خطر علي كيان الدولة وربما خوفا من تشجيع الأقليات الأخرى للمطالبة بنفس المطالب وسنترك تفاصيل هذه القضية من خلال تتبعنا لهذه الدراسة .

**Abstract**

The history of the Ottoman Empire had met a lot of problems dealt with, by this state, each according to their circumstances, causes, nature, and its repercussions. This study deals with the problem of the Armenian whose results were very great on the Ottoman Empire, where it opened the doors to the intervention of some foreign countries in the Ottoman state affairs according to their interests. Observer to this problem shall notice its exceptional situation due to the background of this ethnic, whether religious or ethnic. Armenian problem began in the early time of the period of this subject of this study. Armenians were living peacefully within the Ottoman Empire and they were named ‘ the honest sect “, but because of many inside and outside reasons, appeared in the nineteenth century, Armenians tried to exploit these reasons to achieve their aspirations to get autonomy, within the framework of the Ottoman Empire, and then these aspirations became as demands for full independence. Armenian case went through several stages, including violence and bloody confrontation with the Ottoman authorities. This case has been exploited by some European countries and the United States, each according to his interests in the Ottoman Empire. On the other side, The Ottoman Empire tried to treat this case sometimes calming and by violence at other times in order to eliminate it, as such repercussions of this case could threat the structure of the state, and could help other minorities to ask for the same demands. We shall see the details of this case through our following-up of this study.

- **المقدمة:**

الدارس لتاريخ الدولة العثمانية لابد وأن يدرك أن تاريخها يتميز بالعديد من الخصوصيات ، منها علي سبيل المثال تلك الدهشة والإستغراب الذي يثيره هذا التاريخ وقد تتبادر إلى الذهن العديد من الإستفسارات حول ذلك ،مثل تلك العظمة وهذا التوسع الذي حققه العثمانيين خلال فترة طويلة من الزمن إذا اعتبرنا أن القرن التاسع عشر هو عصر الإحتضار بالنسبة للدولة العثمانية- الذي عصف بكل ذلك المجد وتلك القوة التي عن طريقها إستطاع العثمانيين دق أبواب فيينا عاصمة إمبراطورية النمسا ، وإستطاعوا أيضاً القضاء على المماليك في بلاد الشام ومصر وتصدوا للصفويين وإنتصروا عليهم وهيمنوا على البلقان والعديد من جزر البحر المتوسط ، إن ذلك يجعلنا نتساءل ما هي طبيعة الظروف التي خلقتها ؟ وهل كان للعثمانيين دور في ترك هذه المشاكل تعصف بدولتهم ؟فإذا بإحدى هذه المشاكل تقف إلى جانب غيرها من المشاكل والقضايا التي تعرضت لها الدولة العثمانية إنها قضية الأرمن هذه القضية التي لا تقل أهمية عن غيرها من الأحداث والقضايا التي شهدها تاريخ الدولة العثمانية خاصة في فترة السلطان عبد الحميد الثاني لكنها كانت من أهم المشاكل التي لعبت دوراً كبيراً – حسب رأينا- إلى جانب غيرها من المشاكل في إنهيار الدولة العثمانية .

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على حقيقة هذه المشكلة ومدى مساهمتها في إضعاف الدولة العثمانية وأيضاً للتعرف على مدى إستغلال هذه القضية من قبل الدول الغربية حسب مصالحها .

وتأتي أهمية الدراسة في كونها تركز على جانب تأثير هذه القضية على الدولة العثمانية وإلى أي مدى وصل تأثيرها على هذه الدولة ، وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ دولة كبيرة عاشت لقرون وإستطاعت أن تتوسع شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وكيف إستطاعت بعض الدول المتربصة بهذه الدولة إستغلالها لخدمة مصالحها ؟.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي السردي كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

- **التمهيد:**

**- الموقع الجغرافي والخصائص الاقتصادية لبلاد الأرمن:**

**أ. الموقع الجغرافي:**

تقع أرمينيا غربي قارة آسيا ، حيث تحدها من الغرب آسيا الصغرى ومن الشرق هضبة أذربيجان ، والساحل الجنوبي لبحر قزوين ، وتحدها من الشمال البلاد الواقعة على سواحل بحر قزوين، وسلسلة جبال القوقاز أما من ناحية الجنوب فيحدها السهل الشمالي الغربي من سوريا والبلاد الواقعة في حوض دجلة ، والزاب الأعلى، وكما أنها تقع بين خطي طول 37° و49°شرقاً وخطي عرض 37.5°و 41.5° شمالاً[1].

تقدر مساحة أرمينيا حسب رأي البعض بحوالي 7173 ميلاً مربعاً أي حوالي 162 ألف كيلو متر[2] والبعض الآخر يرى أن مساحتها تقدر بحوالي 130.000 ميل مربع أي حوالي 300.000 كيلو متر[3] .

1. محمد رفعت الامام ، القضية الأرمنية في الدولة العثمانية 1878 – 1923 ، منتدى سور الأزبكية ، القاهرة ،2002، ص 15 .
2. محمد ثابت الغندي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، م 1 (العدد الأول ، 1933 ) ، ص 660 .
3. صالح زهر الدين ، الأرمن شعب وقضية ، ط1 (د.م، الدار التقدمية ، 1988) ، ص 19 .

تجري في أرمينيا عدة أنهار أشهرها نهري دجلة والفرات ، أما مناخها فهو قاري بصفة عامة ، وهو بذلك يختلف عن المناخ الدافئ لحوض نهر الفرات الأسفل ، والمناخ المعتدل للأقاليم الواقعة على سواحل البحر الأسود .

**ب. الخصائص الاقتصادية:**

توجد في أرمينيا ثروات معدنية عدة ، حيث يكثر فيها النحاس والفضة والزئبق والرصاص والحديد وحجر الشب والكبريت ، كما أنها تشتهر بصناعة النسيج والصباغة ، فقد كان يصنع فيها بوجه خاص أحسن المصنوعات الخشبية ، بالإضافة إلى السجاد والمنسوجات والثياب الحريرية المختلفة الألوان .

وتوجد في أرمينيا أراضي خصبة أدت إلى إشتهارها بوفرة الغلال التي تزرع بها حيث كان يصدر جزء كبير منه إلى الخارج كبغداد مثلاً[4].

لقد كان لأرمينيا عدد كبير من الطرق التجارية التي تمر بها ، والمستخدمة من قبل عدد كبير من التجار والقوافل التجارية ، هذه الطرق هي التي تربط التجارة بين الشرق الأقصى والغرب مما أدى إلى نمو تجارة أرمينيا وازدهار أسواقها ، كما أن الثروة الطبيعية المتوفرة فيها أيضاً عملت على نمو تجارتها[5] .

هذا عن الموقع وخصائص أرمينيا الذي أدى إلى نمو أسواقها ، كما أن الثروة الطبيعية المتوفرة فيها زادت من أهميتها الإقتصادية .

أما عن المشكلة الأرمينية فإننا نستهلها بتوضيح طبيعة وأسباب المشكلة ولكن قبل ذلك سنتناول جوانب مهمة من حياة الأرمن وهي الجوانب الدينية ونرى ما إذا كان الجانب الديني أحد أسباب ظهور هذه المشكلة إلى جانب بقية الأسباب .

**- الأوضاع الدينية والسياسية للأرمن:**

**1) الأوضاع الدينية:**

الطبيعة الدينية للمشكلة الأرمنية لها جذور متأخرة بعض الشيء عن فترة موضوع الدراسة هذه، فالمتتبع للأسباب الدينية بالذات لابد له من الرجوع إلى عهد البعثات التبشرية المسيحية ، التي شهدتها أرمينيا في وقت مبكر، خاصة البعثات التبشرية الكاثوليكية، التي يرجع نشاطها إلى القرن الثاني عشر الميلادي هذا النشاط الذي وضع بذور المشكلة الأرمنية قبل الفتح العثماني لأرمينيا ونتيجة لهذا النشاط الذي بدأه البابا "سكست" بابا روما (1583–1590م) ببذل جهد كبير في هذا الخصوص[6] قد تحول عدد كبير من أتباع المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي خاصة أرمن الشام عام 1727م، وقد قام أحد الأرمن الذين تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي وهو " ميبكهيتار " بنشاط ملحوظ للتبشير بهذا المذهب ، ولهذا الغرض أنشأ مقراً وديراً للطائفة الكاثوليكية ، في جزيرة سان بارثليمي [*] بعد حصوله على مساعدات مالية من البابوية في روما ومن حكومة فرنسا أيضاً ، ويجدر القول هنا أن عدد من الأرمن رفضوا التحول عن المذهب الأرثوذكسي ، خاصة في عهدي السلطان أحمد الثالث (1703-

---

[4]. عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دول إسلامية مفترى عليها ، ج3 ( مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة،1983 ) ،ص ص 1532 – 1534.

[5]. المرجع نفسه، ص 1535 .

[6]. نفسه ، ص 1539 .

* جزيرة كاريبية في جزر الهند الغربية محاطة بالكامل بالشعاب الضحلة وتبلغ مساحتها 25 كم وعدد سكانها 9278 لمزيد من التفاصيل أنظر: The world fact Book Government .CIA January2011 p131 ،

1730م) والسلطان مصطفى الثالث (1757–1773م) وقد خشيت السلطات العثمانية من تطور هذه الأحداث، والتي من الممكن أن تكون ذريعة للتدخل الفرنسي في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية وبطبيعة الحال فإن فرنسا لعبت دوراً بارزاً في إمداد البعثات التبشيرية الكاثوليكية لأنها تعتبر نفسها حامية كاثوليك الشرق، وفي هذا الصدد نظرت فرنسا إلى الأرمن الكاثوليك على أنهم أتباعاً لها في الدولة العثمانية، وأنهم في حماية القنصل الفرنسي، ونتيجة للضغوطات الفرنسية على السلطات العثمانية، أعلن السلطان محمود الثاني (1785-1839م) فرماناً سنة 1830م يقضي بقيام ملة كاثوليكية أرمينية[7] ومن جهة أخرى فإنه وفي أوائل القرن التاسع عشر أخذت البعثات المسيحية البروتستانتية في القيام بنشاط ملحوظ بين أرمن الدولة العثمانية ونتيجة لهذه النشاطات فقد تحول عدد كبير من الأرمن إلى المذهب البروتستانتي، وكان دور بريطانيا في البعثات التبشيرية البروتستانتية واضحا فضلا عن المساعدات المادية والمعنوية التي قدمتها لهذه البعثات لتكثيف جهودها بين الأرمن، وإتخذت من حماية البروتستانت ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية ، ففي عام 1850م، أقر الباب العالي للبروتستانت كياناً دينياً وقانونياً[8] ونستخلص من إنقسام الأرمن إلى كاثوليك وبروتستانت كان سببه السعي للحصول على تأييد سياسي من أحدى الدولتين (فرنسا أو بريطانيا) بالرغم من معارضة البطريرك الأرثوذكسي على ظهور هاتين الملتين (الكاثوليك والبروتستانت) فقد قام أتباع الملتين الجديدتين بحركة واسعة لنشر الوعي بين الأرمن بجنسهم وتراثهم اللغوي والتاريخي ، ففي بداية القرن التاسع عشر عندما ظهرت بوادر يقضه وطنية ذات صبغة دينية أول الأمر غلب عليها الطابع العلماني بين الأرمن الكاثوليك والبروتستانت، وقد إهتم أصحاب هاتين الملتين بتطوير حياتهم الثقافية ، وإهتموا بنشر الإنجيل باللغة الأرمنية، وأحيوا الدراسات الأرمنية القديمة ، ولا أدل على ذلك ما قام به أحد الأرمن البروتستانت ويدعى " إلياس رجز " من وضع كتاب في قواعد اللغة الأرمينية[9] .

و في سنة 1850م تم إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا الغربية مما أدى إلى ظهور نهضة علمية ووعي سياسي كانت نواة للمعركة المطالبة بالحكم الذاتي للأرمن فيما بعد [10] .

كل ذلك أدى إلى تطور القضية التي وصلت بها الأمور إلى أن بدأت تظهر بين الأرمن دعوات لطرد المسلمين من بلادهم ، وذلك بالنقل أو بالإبادة مما أدى إلي تصعيد التوتر بين الطرفين [11] .

كانت حركة الأديان والمذاهب مؤمنة داخل الدولة العثمانية حيث كان لبطاركة الأرمن مكانتهم في بروتوكول الدولة بمختلف مذاهبهم ، وعلى ما يبدو كان يحظى هذا الشعب بمكانة خاصة لدى الشعب التركي وكان يطلق عليهم إسم (ملة صادقة) أي الشعب المخلص[12].

## 2) الأوضاع السياسية :

أما عن الناحية السياسية فإنه منذ الفتح العثماني للقسم الغربي من أرمينيا في العقد الأخير من القرن الرابع عشر وبالتحديد في عهد بايزيد الأول (1388–1403م) وفتحهم للقسم الشرقي أيام السلطان محمد الثاني (1451–1481م) والسلطان سليم الأول (1512–1520م) والجدير بالملاحظة هنا أننا سوف لن ننظر في وضع أرمينيا السياسي قبل الفتح العثماني لها ، لأن ذلك خارج عن موضوع الدراسة ، وسنكتفي بالحديث عن حالتها السياسية تحت الحكم العثماني نتيجة للفتح العثماني لأرمينيا إذ

---

7. محمد فريد بك المحامي ، الدولة العليا العثمانية ( دار الجيل ،بيروت، 1977) ، ص 62 .
8. عبدالعزيزالشناوي ،المرجع السابق ، ص 1541 .
9. محمد الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ( دار الثقافة ،القاهرة، 1976) ، ص 298.
10. عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 154 .
11. عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ( دار النهضة العربية ، بيروت، 1973 ) ، ص 181 .
12. يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سليمان ودكتور محمود الانصاري ، المجلد الثاني منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا واستانبول ،تركيا ،1990،ص 129.

أصبح الجزء الأكبر منها بحوزة العثمانيين أى ما يقرب من خمسة قرون وقد قام العثمانيين بتقسيمها إلى ست ولايات هي (يدليس – أرضروم – معمورة العزيز – فان – سيواس – ديار بكر) ونجد أن السلطان محمد الثاني قد أحسن معاملة الأرمن ، فبعد قيامه بفتح مدينة القسطنطينية عام 1453م إستدعى أسقف بروسة الأرمني الذي يدعي يواقيم وأسند إليه منصب البطريركية في أرمينيا كلها،[13] وقد أقام هذا الأسقف في أستانبول ، وتمتع بكافة الحقوق الخاصة بهذا المنصب خلال الفترة من فتح القسطنطينية إلى مرحلة الإصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية .

لم يكن هناك شيء مهم بالإمكان ذكره فيما يتعلق بالأوضاع السياسية للأرمن ونتيجة لبرنامج الإصلاحات والتنظيمات التي قامت بها الدولة العثمانية نجد أن الأرمن قد إستفادوا من ذلك خاصة وأن مرسوم خط الكلخانة [14] الذي صدر عام 1839 يؤكد على المساواة بين رعايا السلطان ، والدليل على ذلك ما صرح به رضى باشا أحد رجال الدولة في إجتماعه بالأرمن واليهود ورجال الدين المسيح قائلاً " أيها المسلمون والنصارى واليهود إنكم رعية إمبراطور واحد وأبناء أب واحد وأن السلطان يسوي بينكم "[15] لقد كان الأرمن أقلية نشطة جداً حيث أنها كانت متواجدة في مؤسسات الدولة المختلفة وخاصة الوظائف العليا كالوزارات ومجلس القضاء الأعلى وأيضاً في السلك الدبلوماسي حيث أنه بين عامي 1856 – 1866م كان منهم العديد من السفراء في بعض العواصم الكبرى.[16]

هذا هو وضع الأرمن السياسي خلال الفترة الطويلة المنوه عنها، ولكن بتغير الظروف، تغيرت أحوال الأرمن السياسية في إطار الدولة العثمانية نتيجة لإنتهاج الدولة العثمانية سياسة جديدة خاصة فيما يتعلق بفرض وجمع الضرائب بسبب المشاكل المالية التي أصبحت الدولة تعاني منها ، و بسبب المشاكل المادية التي أصبحت الدولة تتعرض لها ، هذه السياسة هي المغالاة في جمع الضرائب وإتباع طرق شتى في جبيها ، والعمل على فرضها بإستمرار ، كذلك دفع الإتاوات من قبل الأرمن للأغوات الأتراك، كل ذلك كان مثار تذمرهم من الحكم العثماني ، ونتيجة لسوء حظ الأرمن وتفتتهم سياسياً بين ثلاث دول هي روسيا وفارس والدولة العثمانية فإن أرمينيا العثمانية فضلا عن إنقسامها الديني المذهبي الذي سبق الإشارة إليه كانت تجاور عناصر مشاغبة هم الأكراد والشراكسة والألبانيين الذين تعرضوا للقرى الأرمينية بالعنف والسلب والنهب ، وقد كانت السلطات العثمانية المحلية في أرمينيا تغض الطرف عن هذه الإعتداءات من قبل جيران الأرمن[17] ، ومن الملاحظ تبدل ظروف الأرمن السياسية في ظل حكم الدولة العثمانية ، والذي في تقييمنا العام لم يكن ثابتاً بأي حال من الأحوال بغض النظر عن فترة الوفاق العثماني الأرمني ، هذا التغير الذي ساعد كثيراً على ظهور القضية الأرمينية.

- **المؤثرات الخارجية في قضية الأرمن :**

مما لاشك فيه أن التطرق إلى المؤثرات الخارجية يوضح طبيعة وأسباب المشكلة الأرمينية أكثر ولا يمكن البتة إغفال هذا الجانب ، لأن المؤثرات الخارجية واضحة في القضية الأرمينية ، بيد أن ثمة عوامل قد غيرت من سلوك الأرمن الذين كانوا يعرفون سابقاً بالملة الصادقة بحلول القرن التاسع عشر كانت وراء ذلك التغير السياسي والإجتماعي خاصة بعد ظهور الأفكار المتنورة التي دعت إليها الثورة

---

13. نفس المرجع ، ص 183 .
14. هو أول مرسوم من مراسيم التنظيمات صدر في نوفمبر 1839 في عهد السلطان عبد المجيد الأول ، نقلاً عن عبد العزيز نوار ، مرجع سابق ، ص 184.
15. حسين مؤنس ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ( مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد،1992) ص 253 .
16. هوكر طاهر توفيق ، الكرد والمسألة الأرمينية 1877 – 1920 ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ،الطبعة الأولى ، 2014 ، ص 79 .
17. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 1348 .

الفرنسية عام1789م[18]، فالدول الأوروبية كانت تتطلع للحصول والحفاظ على مصالحها في الدولة العثمانية ، وبطبيعة الحال فإنها دائماً تحاول إستغلال كل الأدوات التي تمكنها من تحقيق تلك المصالح داخل الدولة العثمانية .

لا يخفى الدور الإنجليزي والأمريكي في إثارة الفتن في أرمينيا ، حيث قامت إنجلترا وحليفتها أمريكا بإرسال الذخائر والأسلحة إليها ، وقامت بحث الأرمن على التمرد والعصيان، وأكدت ذلك العديد من الصحف ، مثل الصحف العربية (المنار والأهرام) والصحف الأجنبية (نيويورك وهيرالد) وغيرها، وأكد القسيس "سايدوس هملن" في تصريح صحفي يفيد فيه الإستقلال الكلي بتاريخ 23 ديسمبر 1893م صحة ذلك فقال " إن المراسلين الصحفيين الأمريكيين كانوا يشاركون في إثارة الفتن في أرمينيا لإضعاف الدولة العثمانية[19].

بريطانيا بالذات تبنت الحركة الأرمينية لخدمة مصالحها لاسيما بعد وصول الليبراليين إلى الحكم بعد هزيمة حزب المحافظين ووصول وليام غلادستون (1809-1898م) للحكم وتبنى الدفاع عن القضية الأرمينية[20] لقد عمل جلادستون في تلك الفترة بكل همة من أجل تقطيع أوصال الدولة العثمانية[21] من جهة أخرى فإنه وخلال هذه الفترة تشهد أوروبا أحداث قومية خاصة في منطقة البلقان، نتيجة للتيار القومي الذي بدأ ينتشر بين الشعوب في أوروبا [22] وبطبيعة الحال فإن أرمينيا قد تأثرت بهذا التيار الذي خلق عندهم طموحاً في الإستقلال عن الدولة العثمانية .

بعد أن إتضحت لنا طبيعة وأسباب المشكلة الأرمينية يمكننا الآن الوقوف مع النشاط السياسي للأرمن سواء كان داخل أو خارج الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي الفترة التي تعني بها هذه الدراسة.

- **النشاط السياسي للأرمن داخل الدولة العثمانية:**

نتيجة لتطور المشكلة الأرمينية بعد ظهور الأسباب المنوه عنهاً ، فإن الأعمال السياسية التي قام بها الأرمن داخل الدولة خلال هذه الفترة قد بدأت بعد إشتراك الأرمن في الحرب إلى جانب روسيا ضد الدولة العثمانية بين عامي 1877–1878م ، حيث تطلع الأرمن إلى الحصول على الحكم الذاتي ، وفي هذا الجانب ذهب وفد أرمني برئاسة بطريرك أستانبول وإسمه "نيرسس" إلى قرية سان أستيفانو(*) للمشاركة في معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وروسيا ، ولكن الوفد الأرمني لم يتحصل ولو على جزء قليل مما كان يصبوا إليه نتيجة للمصالح الروسية[23] التي تقتضي عدم منح الأرمن حكماً ذاتياً في إطار الدولة العثمانية على الأقل في الوقت الحالي وبعد فشل الأرمن دبلوماسياً إنتقلوا إلى الوسائل البديلة مثل العنف ضد العثمانيين ، فكونوا جمعيات ثورية أرمينية في بعض المدن الكبرى من الدولة، وخاصة في إستانبول وطرابيزون و وأرضروم وفان ، قامت بالعديد من أعمال العنف ضد القرى التي يقطنها المسلمون من رعايا الدولة العثمانية وقام الأرمن بمهاجمة الباب العالي في الأستانة من قبل جماعة

---

18. محمد رفعت الامام ، مرجع سابق ، ص 19 .
19. حسان علي حلاق ، موقف الدولة العثمانية من لحركة الصهيونية ، ( دار الأحد ، بيروت ،1978م) ص 276 .
20. اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ،الطبعة الأولى، 2008 ، ص 172 .
21. مصطفى أرفعن ، السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب ، ج2 ، ترجمة:مصطفى حمزة ، الدار العربية للعلوم ، ط 1،القاهرة ،2015 ، ص 141 .
22. كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ج 4،ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي ،دار العلم للملايين،بيروت،1973 ،ص 76.
*. هي قرية ساحلية صغيرة على برح مرمرة تبعد عشر أميال عن استانبول شهدت عقد ثقافية الصلح بين الدولة العثمانية وروسيا عام 1878 .
23. عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 1549 .

ثورية أرمنية مما أدى إلى إصابت عدد من موظفي الباب العالي بجروح بالغة الخطورة ، فضلا عن إقتحام مكتب الصدر الأعظم وتهديدة بالقتل ، إلا أن السلطات الأمنية إستطاعت السيطرة على الموقف وقامت بإبعاد المتظاهرين عن مبنى الباب العالي ، في ذات الوقت قامت مجموعة ثورية أرمينية أخرى بالإتجاه إلى السوق القديم في إستانبول ، وألقوا العديد من القنابل في كل إتجاهات السوق تقريباً ، كما أطلقوا الأعيرة النارية بشكل عشوائي على كل من جاء من المارة في طريقهم وكانت مذبحة رهيبة ، بل وصل الأمر بهؤلاء الأرمن بأن قاموا بمحاولة إغتيال السلطان عبد الحميد الثاني (1842-1918م) وهو في طريقه إلى مسجد السلطان محمد الثاني لآداء صلاة الجمعة وقاموا بإلقاء قنبلة على موكبة ، ولكنه نجا منها بأعجوبة مما أدى إلى إشتباك عدد من الأرمن بأفراد الحرس السلطاني[24] .

نتيجة لهذه الأعمال التي قام بها الأرمن فإن الدولة العثمانية إتخذت العديد من الإجراءات التي سيشار إليها في مواضيع لاحقة من هذه الدراسة علها تحد من نشاط الأرمن .

في العام 1895م نظم الأرمن مظاهرة في إستانبول طافت دور سفارات الدول الكبرى في صناجية " جلاطة " و " حي بك أوغلي " ثم إتجهت هذه المظاهرة إلى مبنى الباب العالي ، وقد سخط الأتراك على هؤلاء الأرمن الذين نظموا هذه المظاهرة وحاول السلطان عبد الحميد إتخاذ الإجراءات اللازمة لقمع هذه المظاهرة ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك نظراً لتدخل السفارات الأوروبية[25] .

كما أن للأرمن تنظيماً سياسياً على شكل أحزاب منها ما تم إنشائه في الداخل ، مثل حزب الطشناق الذي أسس في تركيا عام 1890م ، هذا الحزب كان ينادي بتحرير أرمينيا من الحكم التركي وإقامة دولة مستقلة ، وبالرغم من أنه تم نقل المقر الرئيسي لهذا الحزب إلى مدينة جنيف إلا أنه ظل منظمة سرية تعمل داخل الدولة العثمانية وكان هذا الحزب يحتفظ بقوات في كل من القوقاز وإيران[26].

في بداية عام 1905 م وعلى إثر الإضطهاد الذي تعرض له الأرمن على يد الروس بالرغم من أن نشاط الأرمن في روسيا خارج نطاق هذه الدراسة إلا أننا رأينا الإشارة إليه هنا لتوضيح ما قام به هذا الحزب من أعمال فقرر حزب الطشناق أن يقاتل ضد كل من القيسيرية ، وقوات السلطان عبد الحميد الثاني في آن واحد ، بعد أن وضع في صميم برنامجه هدفاً جديداً ، وهو خلق دولتين أرمينيتين مستقلتين واحدة في الدولة العثمانية والأخرى في روسيا ، ومن الطبيعي أن يشارك هذا الحزب في جميع المعارك التي خاضها من أجل نيل الإستقلال كما ساهم هذا الحزب مساهمة فعالة في ثورة التحرير التي نشبت في إيران 1909 م مما دفع بالبارون " تولدي " الروسي أن يصرح أمام الجمعية الروسية قائلاً " يجب القضاء على هذه الوحدة التي تقاتل على ثلاث جبهات في آن واحد ، والتي تغذي في نفس الوقت الحركات الثورية في إمبراطوريات ثلاث (روسيا، النمسا والمجر، الدولة العثمانية)[27] ومن الجدير بالذكر أنه ظهر من هذا الحزب العديد من قادة حركة المقاومة الأرمينية ، ولكن في وقت لاحق عن فترة موضوع هذه الدراسة .

أما الحزب الآخر هو حزب "رامكافار" وهوإشتراكي ديمقراطي أنشأ في القسطنطينية ، ويدافع هذا الحزب في البداية عن المبدأ الذي يدعو إلى قيام دولة أرمينية مستقلة متحدة وبالرغم من إفتقار هذا الحزب إلى نواة قوية تشد أزره إلا أنه يتميز بنفوذ واسع بين الأوساط الأرمينية[28].

---

24. احمد أنور الجندي ، تاريخ الإسلام والغرب ،معالم التاريخ الاسلامى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت الطبعة الثانية ، د.ت، ص 573 .
25. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 1573 .
26. بول أميل ، تاريخ أرمينيا ، ترجمة : شكري علاوي (مكتبة الحياة ، بيروت ،.د.ت) ص 78 .
27. المرجع نفسة، ص 79 .
28. نفسة ، ص 80 .

أما عن المقاومة المسلحة التي قام بها الأرمن ، فإنها كانت بعد المذابح التي تعرض لها الأرمن حيث ضاعف ذلك من عزيمة المقاومة المسلحة و تكاثرت أعمال الفدائيين الأرمن يقودهم " ينفولطومان " و " سيوتي ومراد وسيروب واندراتيك " وهذا الاخير هو أعظم بطل أرمني في العصر الحديث حسب تقييم الأرمن أنفسهم ، وفي عام 1904 م إستطاع الأرمن بقيادة " اندرانيك " أن يوقفوا زحف ثلاثة عشر طابوراً عثمانياً كانت تريد الزحف على صاصون ، ولمدة شهرين كاملين .

غير أن تنظيم إستمرارية المقاومة في الداخل كان شبه مستحيلاً ، مما أضطرهم إلى تنظيمها في الخارج وهذا ما سنعرفه في التعرض لنشاط الأرمن خارج الدولة العثمانية [29].

**2) النشاط السياسي للأرمن خارج الدولة العثمانية:**

مثلما كان للأرمن نشاط سياسي داخل الدولة العثمانية كان لهم أيضاً نشاط سياسي خارجها ، ففي المنفى شكلوا تنظيمات سياسية خاصة بهم ويلاحظ هنا أن الأرمن كانوا يحافظون دائماً على تقاليدهم الوطنية أينما وجدوا، خاصة في بلدان الشرق الأوسط مثل اليونان ، ومصر وربما يتبادر إلى ذهن القارئ هنا بأن هذه البلدان تابعة للإمبراطورية العثمانية ، وللإجابة على هذا التساؤل فإن هذه الدول في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، ليست تابعة للدولة العثمانية ، فاليونان تحصلت على إستقلالها ومصر محتلة من قبل بريطانيا منذ عام 1882 م ، ويلاحظ على الأرمن أيضاً أنهم أينما كانوا يشعرون دائماً بأنهم ينتمون إلى أمة واحدة ، هذا الشعور كان سائداً بصفة خاصة بين الأرمن الذين يعيشون في فرنسا "مرسيليا وباريس" ، وفي الولايات المتحدة كان الأرمن الذين يعيشون فيها ، يقومون دائماً بالتبرع وإمداد منظماتهم ومؤسساتهم الوطنية بالمساعدات المادية[30] ومن جهة أخرى فإن المنظمات الوطنية الأرمينية التي تم إنشائها خارج الدولة العثمانية تمتاز بطابعها المختلط ، أي أنها منظمات دينية وعلمانية ، تخضع بالدرجة الأولى لمجلس يكون رئيسه الأعلى أسقفاً ، وغالبية أعضائه من الأساقفة والكهنة ، بينما يعاونهم مجلسان تنفيذيان هما:

1. المجلس الروحي ويتألف من الكهنة ، لأنه يهتم بمعالجة المشاكل الدينية .
2. المجلس الوطني : يتألف من العلمانيين ، ويعاونهم عدد قليل من الرجال الرسميين ويختص هذا المجلس بمعالجة المسائل الثقافية والخيرية وغيرها .

وهذه المنظمات معترف بها من قبل الأرمن داخل الدولة العثمانية ، ومع كل ذلك فإنه لا يسمح للأرمن في الخارج من حيث المبدأ أن يشتركوا في الحياة السياسية للقطر الذي يعيشون فيه بصورة فعالة، كما أن أحزابهم التي شكلوها في الخارج هي أحزاب أرمينية صرفة تولي إهتمامها بمصالح الأرمن داخل الدولة العثمانية، ولذلك فإن نشاطها ونضالها هو من أجل الحفاظ على مقوماتهم الوطنية الأصلية وتقاليدهم العريقة[31] ومن الأحزاب الأرمينية التي شكلت في الخارج، حزب الهنشاق الذي يعتبر من أقدم الأحزاب الأرمينية، وقد أنشئ هذا الحزب في جنيف عام 1889 م، وكان الهدف من تأسيسه تحرير أرمينيا الخاضعة للحكم العثماني، وإقامة دولة مستقلة بها ، وبالرغم من الإنجازات التي قام بها هذا الحزب والتي كانت في صالح القضية الأرمينية، إلا أنه أنشق على نفسه فجأة وتفككت روابطه ، وهكذا تحول الجهاز الإداري لهذا الحزب إلى عدة دوائر إدارية إقليمية في الولايات المتحدة فمثلاً نجد أن الدائرة الإقليمية هناك هي التي قامت بالعديد من النشاطات المنفردة ، ففي هذا الإطار

---

[29]. نفسة نفسة،ص ص 48 – 49 .
[30]. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ،ص 1552 .
[31]. المرجع نفسة ، ص 1554 .

أصدرت صحيفة تعرف باسم صحيفة "ارتياراليستان" أي أرمينيا الفتية ، وأصدرت الدائرة الإقليمية الموجودة في حلب صحيفة عرفت باسم صحيفة " سوريا " وفي بيروت صحيفة " ارادات".[32]

هذا عن النضال السياسي من خلال الأحزاب التي قام الأرمن بتشكيلها خارج الدولة العثمانية ، أما عن المقاومة المسلحة للأرمن والتي تم تنظيمها خارج الدولة فقد قام الأرمن بتنظيم هذه المقاومة في الدول المتاخمة لأرمينيا مثل إيران والقوقاز، ومن هناك نظمت الحملات ضد أراضي الدولة العثمانية ، ففي عام 1897 م، قام الأرمن بغارة ضناضور، هذه الغارة كانت بقيادة حزب الطشناق وقد أنطلقت من إيران وكان من بين نتائجها إبادة قبيلة " مازيع الكردية " التي كانت مسئولة عن ذبح 800 أرمني ، وفي عام 1899م حدثت حملة " خشادور " تم حادثة " ديراركلوتس " التي قادها القائد الأرمني " اندراتيك " سنة 1901م[33] هذا ما يتعلق بالنضال السياسي والكفاح المسلح الذي قام به الأرمن سواء داخل أو خارج الدولة العثمانية ، وبهذا ظهرت القضية الأرمينية للعيان وأصبحت محل إهتمام على الصعيد الدولي .

- **القضية الأرمينية على الصعيد الدولي :**

بعد أن تطورت القضية الأرمينية كما تبين لناً خرجت هذه القضية إلى الصعيد الدولي ، فبدأ تداولها بين الدول الأوروبية ، حيث أصبحت هذه الدول تنظر إلى هذه القضية حسبما تمليه عليها مصالحها وأطماعها في الدولة العثمانية و كان أول تداول لهذه القضية على الصعيد الدولي في مؤتمر سان إستيفانو الذي إنعقد بين روسيا والدولة العثمانية عقب الحرب التي جرت بينهما خلال العامين 1877– 1878 م ، وقد ذهب وفد أرمني برئاسة بطريرك أستانبول الأرمني الذي يدعى " نرسس " كما أسلفنا وقد حاول هذا الوفد الإستفادة من الخدمات التي سبق وأن قدموها للجيش الروسي أثناء هذه الحرب حيث أن الروس كانوا قد أعطوا وعوداً للأرمن منها الوقوف إلى جانبهم مقابل هذه الخدمات [34] غير أن روسيا لم تف بوعودها ، نظراً لتغير موقف الروس من القضية الأرمينية كما سنتابع ذلك لاحقاً .

لم يتحصل الأرمن على مطالبهم خلال هذا المؤتمر ، عدا وعداً من الدولة العثمانية بإدخال بعض الإصلاحات على الولايات الأرمينية ، وهكذا خرج الأرمن من معاهدة سان إستيفانوا دون تحقيق تقدم يذكر ، والجدير بالذكر أن هذه المعاهدة لم يقدر لها التنفيذ ، نظراً لإعتراض الدول الكبرى عليها خاصة بريطانيا وإمبراطورية النمسا والمجر ، ليس تعاطفاً مع الدولة العثمانية أو وقوفاً إلى جانب الأرمن ، بل كان السبب وراء ذلك أن مصالح هذه الدول تقتضي عدم السماح لروسيا بالإنفراد بالقوقاز والبلقان ، وإتخذت هذه الدول مبدأ التوازن الدولي حجة لذلك .

بعد هذا نجد أن آمال الأرمن قد تعلقت بمؤتمر برلين المنعقد عام 1878 م والذي دعيت له دول أوروبا لتعديل معاهدة سان إستيفانو[35] وقد ذهب وفد أرمني كذلك برئاسة بطريرك إستانبول لحضور هذا المؤتمر والمطالبة بتحقيق ما يصبوا إليه الأرمن ، ولكن المؤتمرين نظروا إلى المشكلة الأرمينية على أساس أنها مشكلة داخلية تخص الدولة العثمانية ، في الوقت نفسه إشترطوا على السلطان العثماني ضرورة إدخال بعض الإصلاحات على مناطق الأرمن ، وأصيب الأرمن مرة ثانية بخيبة أمل جديدة نتيجة لعدم تحقيق هذا المؤتمر لتطلعاتهم .

---

32. بول أميل ، المرجع السابق ، ص 81 .
33. المرجع نفسة ، ص 82 .
34. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 1548 .
35. محمد ثابت الفندي وأخرون ، المرجع السابق ، ص 66 .

من ناحية اخرى فإن مذابح 1894 – 1895 م أدت إلى تحرك سفراء كل من فرنسا وبريطانيا، وقدموا في هذا الخصوص إحتجاجات شديدة اللهجة للسلطان عبد الحميد الثاني ، وإقترحا عليه ضرورة إدخال بعض الإصلاحات بين الأرمن ولكن السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يدعم موقفه وزير خارجية روسيا البرنس " لوبانوف " الذي لم يكن يكتم عدائه للأرمن أعطى السلطان أجوبة دبلوماسية مبهمة لكل من السفيرين ، وبالرغم من عدم وقوف الدول الكبرى بشكل نستطيع معه القول إنه إيجابي مع الأرمن إلا أن القضية كان لها صداها بين الشعوب الأوروبية ، فقد نظمت مظاهرات كبرى في كل من باريس ولندن وبروكسل ، وفي فرنسا كان هناك رئيس كوشان وميلران وبان كوراسوديمون وجورج كلمنصو ، والحال كذلك بالنسبة للدول الأوروبية الأخرى مثل بلجيكا أما المناطق الإسكندنافية فكان فيها جورج براندیسومایدینوشین[36] والمانيا فإن سفيرها البارون " دوساودمايلسيكين" قد صرح لأحد الصحفيين في برلين عن بيانات تفصيلية عن الحوادث التي تعرض لها الأرمن، وقام هذا الصحفي بنشر تعليقاً مطولاً عن ذلك في إحدى الصحف الألمانية[37] ومن ناحية أخرى فإن حادث إحتلال مبنى بنك إستانبول الذي قامت به بعض العناصر الأرمينية كان له صداه على المستوى الأوروبي، فقد حاولت بعض من الدول الأوروبية خاصة تلك التي تمتلك أسهم لها في هذا البنك التدخل في هذه الحادثة و أقنعت السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لهذه العناصر التي قامت بهذا الهجوم من المرور بباخرة أوروبية راسية في مضيق البسفور .

من خلال هذا التدخل يتضح تناقض موقف هذه الدول، فهل كانوا بهذا التصرف يحمون هذه العناصر الخارجة عن القانون في نظر السلطات العثمانية أم أن هذا الأجراء يرمي إلى التدخل في شؤون الدولة العثمانية والوقوف إلى جانب الأرمن[38] كما أن مذابح 1895–1896 م أدت إلى إثارة رئيس وزراء بريطانيا الذي حاول الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني ، لوقف تلك المذابح وقام بتهديده بإحتلال ميناء الحجاز على البحر الأحمر ونتيجة لمعارضة كل من ايطاليا والنمسا لمثل هذه الفكرة فإن الأمر لم يتعد كونه مجرد تهديد .

وفي يوم 12 نوفمبر 1895 م إقترح وزير خارجية النمسا والمجر " لوشوفسكي " على الدول الأوروبية إقتحام الدردنيل بأساطيلها الحربية لإجبار السلطان العثماني على حسن معاملة الأرمن حسب زعم الوزير المذكور ، وقد عارضت روسيا ذلك ورأت في الاقتراح النمساوي عمل ضد روسيا وليس ضد السلطات العثمانية ، لأن ذلك يضر مستقبلاً بمصالح روسيا وهكذا فإن القضية الأرمينية أصبحت تتداول على المستوى الدولي من قبل الدول الأوروبية التي أصبحت مصالحها في الدولة العثمانية تتضارب في أحياناً كثيرة محاولة إستغلال قضية الأرمن كل منها حسب تلك المصالح .

**قضية الأرمن وتضارب مصالح الدول الأوروبية في الدولة العثمانية:**

بعد أن ظهرت المشكلة الأرمينية على الصعيد الدولي مثلما رأينا ، بدأت الدول الأوروبية في الإهتمام بهذه القضية حسب مصلحتها في الدولة العثمانية وهنا يجب التعرف على مصالح هذه الدول ومواقفها من القضية الأرمينية .

**أ. ألمانيا :** وقفت المانيا موقفاً ودياً مع الدولة العثمانية ، وذلك للعديد من الإعتبارات السياسية التي كانت تتفق ومصلحتها في المنطقة[39] فسياسة ألمانيا في هذه الفترة أصبحت تعرف بسياسة الاندفاع نحو الشرق ، فبالرغم من تقديم ألمانيا إحتجاجاً مع الدول الأوروبية إثر المذابح التي تعرض لها االأرمن إلا

---

36. بول أميل ، المرجع السابق ، ص 96 .
37. السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية 1891 1908 ، ( مؤسسة الرسالة ، بيروت،1986) ص 50 .
38. الماوتلن ، عبد الحميد ظل الله على الأرض ، ترجمة: ،راسم رشدي ( دار الجيل، القاهرة ، 1950) ص 140.
39. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ،ص 1550 .

أنه لم يتعد كونه إجتجاجاً شكلياً ودبلوماسياً ، ولما إشتدت حملات التشهير بالسلطان عبد الحميد الثاني من قبل بريطانيا ، أعلن غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا "(1859-1941م)( أن له في جلالة السلطان العثماني الثقة التامة ، وأنه لا يمكن الإعتماد إلا على جلالته في قمع الثورة الأرمينية وإعادة الهدوء إلى ربوع آسيا الصغرى[40]. مما تقدم نلاحظ أن موقف الألمان وكان مرده مصالحهم السياسية والاقتصادية والعسكرية في الدولة العثمانية ،حيث إنها كانت تريد تنفيذ مشروع الآسيوي لطريق برلين بغداد الحديدي.

**ب. روسيا:** لقد كانت روسيا تهدف إلى تقسيم الأناضول إلى شطرين شمالي يقيم فيه العثمانيين دولة أرمينية تسير في فلك السياسة الروسية ، وشطر غربي يقيم فيه العثمانيين دولة أرمينية تحت السيادة العثمانية، ومن هنا جاء تشجيع الروس للأرمن في البداية، كما أن روسيا كانت تعارض التدخل البريطاني المنفرد في هذه القضية[41] لأن ذلك يجعل بريطانيا تنفرد في التدخل في شؤون الدولة العثمانية وربما حسب وجهة نظر الروس أن ذلك يؤدي إلى إنهاء طموح الروس في والوصول إلى المياه الدافئة ، لذلك إتخذت روسيا ذات إتجاهات متباينة ، فمن ناحية تتخذ من الأرمن وسيلة للضغط على الدولة العثمانية، عن طريق إثارة العناصر الأرمينية وتقديم الدعم لهم، ومن ناحية أخرى فإنها ترى في حصول الأرمن على الإستقلال قد يؤدي إلى إثارة العناصر الأرمينية الواقعة تحت سيطرتها ، كما أنه يثير عناصر أخرى داخل روسيا .

فضلا عن ذلك فإن مصالح روسيا تتمثل في محاولة روسيا السيطرة على المضايق العثمانية من أجل الوصول إلى المياه الدافئة كما أسلفنا ، وبالتالي فإن كل هذه الإعتبارات كانت وراء سياسة روسيا من الدولة العثمانية على وجه العموم .

**ج. فرنسا:** لفرنسا موقف معارض تجاه الدولة العثمانية في معالجتها لقضية الأرمن ، ولكن هذه المعارضة أقل بكثير من المعارضة البريطانية كما سنرى ، فالساسة الفرنسيين وصفوا السلطان عبد الحميد الثاني بالسلطان الأحمر لإمعانه في التنكيل بالأرمن[42] ، وقد حاول السفير الفرنسي في إستانبول إقناع حكومته بإرسال وحدات من الأسطول الفرنسي تصاحبها قطع من الأسطول الإنجليزي إلى المضايق العثمانية للضغط على السلطان عبد الحميد الثاني لكي يوقف المجازر التي ترتكب ضد الأرمن، غير أن الحكومة الفرنسية لم تتحمس لهذا الاقتراح نظراً لإنشغالها في هذه الفترة بمشاكلها الخاصة بها ، وبقيت فرنسا تراقب الوضع الدولي من بعيد ، الأمر الذي نتج عنه ضعف إهتمام الساسة الفرنسيين بالقضية الأرمينية .

**د. إمبراطورية النمسا - المجر:** لهذه الدولة مصالح متشعبة في منطقة البلقان ، فقد كانت تنوي ضم البوسنة والهرسك وسنجق انو في بازار[43] لذلك كانت إمبراطورية النمسا و المجر حريصة على أن لا تتخذ سياسة واضحة من هذه القضية يصعب التنبؤ بنتائجها مستقبلاً ، كما أنه لم يكن في مصلحتها الوقوف إلى جانب الأماني القومية لأي كان حتى وإن كانوا الأرمن لأن ذلك يتعارض مع طبيعة هذه الدولة التي تتكون من مجموعة كبيرة من القوميات المختلفة .

**هـ. بريطانيا:** كانت أكثر البلاد الأوروبية تحمساً للدفاع عن الأرمن ، ويلاحظ هنا أنها قد تخلت منذ سنة 1878 م عن سياستها التقليدية تجاه الدولة العثمانية وهي المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، لأنها

---

40. المرجع نفسة ، نفس الصفحة .
41. صالح زهر الدين ، المرجع السابق ، ص 32
42. بول أميل ، المرجع السابق ، 35 .
43. عبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، ص 25 .

كانت ترى في تماسك الدولة العثمانية من شأنه حماية مصالحها في الشرق[44] ، كما أن بريطانيا قد واجهت تكتلاً دولياً تألف ضدها من فرنسا وألمانيا وروسيا والنمسا والمجر نتيجة لسيطرة بريطانيا على قناة السويس ، لهذا حاولت بريطانيا الخروج من هذه المواجهة عن طريق إشغال هذه الدول بمشكلة الأرمن حتى يتم صرف نظرها عن مشكلة قناة السويس والانشغال بالمشكلة الأرمينية ، لذلك نجد بريطانيا أكثر الدول الكبرى إعتراضاً على المذابح الجماعية التي تعرض لها الأرمن ، وقد ألقى رئيس وزراء بريطانيا في مدينة سالزبوري بياناً موجهاً للدولة العثمانية حذرفيه السلطات العثمانية من نتائج سياستها المتعلقة بمعالجة هذه المشكلة، وأكد أن بريطانيا قد تضطر لإستعمال القوة ضد الدولة العثمانية لوقف هذه المذابح[45].

من كل ما تقدم يتضح أن مواقف الدول الأوروبية من القضية الأرمينية كانت تختلف من دولة إلى أخرى تقريباً بإختلاف مصالحها في الدولة العثمانية ، ولم تكن هناك على الإطلاق نية مؤكدة من هذه الدول لحل هذه المشكلة إما تعاطفاً مع الأرمن، أو وقوفاً مع الدولة العثمانية ، لهذا فإن مشكلة الشعب الأرمني ظلت مستمرة إلى وقت لاحق عن فترة الدراسة هذه ، ومن كل ما تقدم لابد من معرفة الكيفية التي عالج بها السلطان عبد الحميد الثاني هذه القضية .

- **سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في معالجة قضية الأرمن:**

من نافلة القول أن السلطان عبد الحميد الثاني كان جاداً في محاولته إنهاء هذه المشكلة لصالح الدولة العثمانية لأن هذه المشكلة منذ أن طفحت على السطح أصبحت تشكل خطورة على كيان الدولة العثمانية ، وكانت أيضاً تعني تصارع قوميتين مختلفتين على ذات المكان الذي يتجاور فيه كليهما ، ومن هنا كانت خطورة هذه المشكلة بالنسبة للدولة العثمانية[46] صحيح أن الدولة العثمانية قد فقدت أقاليم كانت تابعة لها في أوروبا نتيجة للثورات التي حدثت في هذه المناطق مثل (بلغاريا – صربيا) نتيجة للضغوط الأوروبية، ولكن كل ذلك لم يتعد كونه تعديل في حدود الدولة العثمانية في أوروبا ، ولكن حصول الأرمن على الاستقلال كان يعني الكثير للدولة العثمانية، أي أنه يهدد الموطن الأصلي للعثمانيين في آسيا الصغرى، حيث أن أرمينيا ومن خلال تتبعنا لموقعها الجغرافي تقع قريبة من الموطن الأصلي للدولة العثمانية لذلك فإن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني كانت دائماً تأخذ في إعتبارها ذلك ، وتركز كذلك في معالجة هذه القضية على محاولة القضاء على الحركة الأرمينية ، ونجد أن السلطان بدأ في إتخاذ الإجراءات اللازمة حسب سياسته ، فقام بعزل المقاطعات التي يسكنها الأرمن عن العالم الخارجي، مانعاً السفر منها وإليها كما أنه فرض رقابة شديدة على البريد ، وبعد أن إطمأن من أنه في مأمن من إنتقادات الدول الأوروبية قام بإصدار أوامره بترتيب حملة ضد الأرمن في خطب المساجد ليتم التنديد بالأرمن لأنهم يريدون تدبيرمؤامرة ضد الدولة والدين الإسلامي، ثم عمد إلى إتخاذ إجراء كان له خطورته على الأرمن ، حيث قام بتوزيع الأسلحة والذخائر على جيران الأرمن الأكراد وأطلق أيديهم في سلب ونهب القرى الأرمينية، كما أنه أطلق أيدي عصابات " الباستوروك " المتعصبين الذين كانوا يتوقون دوماً إلى السلب والنهب والإغتصاب[47] وفي سنة 1895م تعرض الأرمن لمجزرة رهيبة لم تلبث أن إمتدت حتى عمت كافة مناطق شرقي الأناضول مثل طرابيزون وأرضروم وأذربيجان وبطليس وديار بكر وماردين وقيساريا ، وفي كل مكان كانت تشهد مثل هذه المذابح ، وقد تميزت هذه المجازر في بعض الأماكن بالشراسة القصوى في منطقة " عرفة " مثلاً أحرق في أسبوع واحد حوالي ثلاثة

---

44. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص 1556 .
45. المرجع نفسة ، ص 1619 .
46. نفسة نفسة ، ص 1560 .
47. بول أميل ، المرجع السابق ، ص46 .

آلاف أرمني كانوا قد إلتجأوا إلى العاصمة طلباً للنجاة[48] ومن ناحية السلطان عبدالحميد الثاني فإنه لم يحرك ساكناً ولم يلتفت إلى صراخ الأرمن لأنه يدرك أن هذه المشكلة لم تصل إلى مرحلة تدخل الدول الأوروبية وأنه بمعزل عن خطر التدخل الخارجي الفعلي الذي ربما يهدد عرشه .

وإذا نظرنا إلى ما قام به الأكراد من أعمال فإنه يتضح لنا أن ذلك يطول شرحه نظراً لطول الصراع بين الأكراد والأرمن ، وقد إستغل السلطان عبد الحميد الثاني هؤلاء الأكراد وقام بتكوين فرقة عسكرية منهم عرفت بإسم " الفرق الحميدية "[49] وقد أعطيت هذه الفرق إمتيازات خاصة ، وكانت وسيلة السلطات العثمانية للسيطرة على الأرمن ، وقد إشتبكت هذه الفرق بالأرمن وجرت بينهم عدة معارك ، ويلاحظ هنا تصميم السلطان عبد الحميد الثاني بكل الوسائل القضاء على الثورة الأرمينية ، ولو أضطر إلى تهجيرهم أو إبادتهم حتى يتخلص من مطالبهم القومية التي وضحنا في السابق أنها تشكل خطورة كبيرة على كيان الدولة العثمانية ، ونتيجة لذلك قامت جموع من الأرمن بالهجرة في كل الإتجاهات تقريباً[50] وقد هاجرت مجموعة من الأرمن إلى لبنان وفي هذا الصدد ونقلاً عن صالح زهر الدين يقول مروان المدور " إن الهجرة الفعلية التي قام بها الأرمن إلى لبنان بدأت خلال عام 1885 – 1886 م حيث عمد المئات من الأرمن إلى الهجرة من الدولة العثمانية إلى مختلف دول العالم ومنها لبنان وما لبثت هذه الهجرة أن تضاعفت عام 1895 م عبر الساحل السوري إلى لبنان"[51] ومن ناحية أخرى فإن السلطات العثمانية تدرك أن تضامن الأكراد مع الأرمن هو خطر عليها في شرقي الأناضول، لهذا لجأ الباب العالي إلى وسائل مختلفة لمنع التقارب بينهما ، منها تصعيد العداء بينهما ، فقاموا بإستمالة الطبقة العليا من الأكراد بإثارة التعصب الديني لديهم على إعتبار أن الأكراد مسلمين والأرمن شعب مسيحي وهنا يجب التأكيد على أن الدين الإسلامي لم يكن دين تعصب على الإطلاق ، وإضافة إلى ذلك فإن السلطات الرسمية للدولة العثمانية تؤكد دائماً على أن أي عمل يقوم به الأكراد ضد الأرمن لا تعتبره الحكومة جريمة ولا يعاقب عليها القانون العثماني[52] وفي هذا يتأكد لدينا أن الدولة العثمانية تريد إطلاق يد الأكراد في محاولة القضاء على ثورة الأرمن بأي شكل من الأشكال .

لقد إصطدم الأكراد بالأرمن في العديد من القرى الأرمينية ، مثل ما قام به أحد بكوات الأكراد المدعو " موسى " حيث كانت تحت تصرفه فرقة مؤلفة من أربعة آلاف رجل مسلح وقام بمهاجمة " طارون " التي يعيش فيها بعض الأرمن ، وأطلق فيها أيدي أصحابه الذين قاموا بأعمال عنف رهيبة منها إحراقهم حوالي 35 قرية أرمينية بالإضافة إلى العديد من الجرائم التي أرتكبت من قبلهم في هذه القرى[53] وقد كانت سياسة السلطان عبد الحميد الثاني هي تشجيع الأكراد على ما قاموا به من أعمال تصل إلى حد قيامه بمكافئة هذا الكردي المدعو " موسي " بتعيينه في منصب رفيع ، ولم يعر السلطان العثماني أدنى إهتمام بالشكاوي المقدمة إليه من قبل رعاياه الأرمن حول ما قام به هذا الإقطاعي الكردي، كما أن السلطان العثماني قام بجلب الشراكسة من القوقاز وتوطينهم في الأراضي الأرمينية ، ولم يقم بتوفير أية وسيلة للعيش لهم في هذه المناطق ، بل قام فقط بتسليحهم ، فلم يكن أمام هؤلاء من وسيلة للحصول على قوتهم إلا نهب القرى الأرمينية ، في الوقت الذي كان فيه إمتلاك الأرمن للسلاح يعتبر أمر غير قانوني[54] وبالفعل فإن الشراكسة قاموا بنهب القرى الأرمينية وإرتكاب جرائم فظيعة ، فلم يكتفوا بنهب الأرمن مما كانوا يمتلكونه بل وصل بهم الأمر إلى سبي نساء وبنات الأرمن.

---

48. المرجع نفسة ، ص 47 .
49. الماوتلن ، المرجع السابق ، ص 139 .
50. محمد كمال الدسوقي ، المرجع السابق ، ص 299 .
51. صالح زهر الدين ، المرجع السابق ، ص 53 .
52. المرجع السابق ، ص 54 .
53. المرجع نفسه ، ص ص 43 – 44 .
54. محمد ثابت الفندي وأخرون المرجع السابق ، ص 661 .

من كل ذلك ندرك أن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني لم تكن تهدف على الإطلاق إلى التعاطف مع الأكراد أو الشراكسة ، بل كان الهدف هو ضرب هذه الفئات بالأرمن ، ومحاولة خلق شقاق بينهم لأنه يعلم أن إتحاد هذه العناصر يعرض الدولة العثمانية للخطر حسب وجهة نظره ، وكانت غايته التي يريد الوصول إليها هي القضاء على الإنتفاضة الأرمينية ، ولم يستثن وسيلة لبلوغ ذلك إلا وإستعملها .

- **الآثار الناجمة عن القضية الأرمينية على الدولة العثمانية:**

من خلال تتبعنا للقضية في العناصر السابقة نستخلص أن هذه القضية قد نجمت عنها آثار غاية في الخطورة على الدولة العثمانية سواء كانت إقتصادية أو إقليمية أو سياسية دولية .

فكما هو معلوم أن الدولة العثمانية في هذا الوقت تضم العديد من القوميات المختلفة مثل القومية الأرمينية بطبيعة الحال والكردية والعربية .. الخ ، لذلك فإن هذه القوميات قد تأثرت بالروح القومية التي سادت أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة الأرمن الذي أدى تأثرهم هذا إلى التطلع إلى تحقيق أمانيهم في الإستقلال عن الدول العثمانية ، وفقدان الدولة العثمانية لأرمينيا كان يعني الكثير ، فقد وصل الأمر بالأرمن بعد أن كانوا يطالبون فقط بإدخال الإصلاحات إلى محاولة الإستقلال التام[55] وحصول الأرمن على الإستقلال يعتبر غاية في الخطورة بالنسبة لكيان الدولة العثمانية لأن في ذلك تهديد وجودها ذاته.[56]

ومن جهة أخرى فإن النشاط السياسي الأرمني سواء كان على الصعيد المحلي أو الخارجي قد ساهم في زعزعة إستقرار الدولة العثمانية ، وذلك عندما لجأ الكثير منهم إلى روسيا أو إلى باقي الدول الأوروبية الأخرى لطلب العون والمساعدة ، الأمر الذي ترتب عليه محاولة هذه الدول التدخل في شؤون الدولة العثمانية على الرغم من أن تدخل هذه الدول في القضية الأرمينية وكما أشرنا كان حسب مصالحها الخاصة ، أيضاً فإن الأعمال التي قام بها الأرمن داخل الدولة العثمانية أدت إلى العديد من النتائج السلبية على الدولة مثل تمويل الحملات التي كانت تجرد ضد الأرمن مثل الصرف على الفرق الحميدية التي كونها السلطان عبد الحميد الثاني من الأكراد ضد الأرمن ، ومن ناحية أخرى فإن عدم الإستقرار في بلاد الأرمن قد أثر اقتصادياً فهذه البلاد معروفة بوفرة المعادن ، وغنى شواطئها بالأسماك، وكثرة الطرق التجارية التي تتخللها وماله من مردود مادي نتيجة لعبور القوافل التجارية التي تساهم مساهمة كبيرة في وجود مورد مادي للدولة[57] التي حرمت منه نتيجة لذلك ولعدم الإستقرار فإن هذه القوافل ستتوقف عن المرور عبر الطرق التجارية التي تخترق أرمينيا نظراً لعدم وجود الأمان فيها.

فضلا عن أن للقضية الأرمينية لها تأثير على الدولة العثمانية ولو بصورة غير مباشرة ونتيجة لهذه المشكلة إتجهت روسيا إلى أرمينيا مما ترتب عليه قيام بريطانيا بالإستيلاء على جزيرة قبرص، وبذلك فقدت الدولة العثمانية هذه الجزيرة التي تعتبر ذات مركز إقتصادي وإستراتيجي هام.[58]

إن هذه القضية أدت إلى تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية كل دولة مستغلة الطائفة الدينية التي تتبع المذهب الرسمي لها ، فبريطانيا وقفت إلى جانب البروتستانت ، وأصبحت تتدخل في شؤون الدولة بحجة حمايتهم خاصة بعد أن تخلت عن سياستها التقليدية وهي المحافظة على كيان الدولة العثمانية.

---

55. المرجع ، نفسة ، ص661 .
56. محمد كمال الدسوقي ، المرجع السابق ، ص 299 .
57. عبدالعزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص ص 1533 - 1535 .
58. محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ( مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة، د.ت) ص 172 .

أما روسيا واليونان فقد وقفتا إلى جانب الأرمن الأرثوذكس وأخذت كل من هاتين الدولتين من حماية الأرمن الأرثوذكس ذريعة للتدخل في شؤون الدولة، فرنسا هي الأخرى كانت تعتبر نفسها حامية الكاثوليك الشرقيين، ومن هذا المنطلق كانت دائماً تحاول التدخل في شؤون الدولة بحجة حماية الأرمن الكاثوليك ، وقد يكون تأثير المشكلة الأرمينية على النواحي السياسية والإقتصادية والإقليمية نسبياً بعض الشيء ولم يظهر بشكل واضح خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث أن هذه القضية إستمرت حتى بداية القرن العشرين ، إلا أن المذابح التي تعرض لها الأرمن وقام بها الأكراد بتشجيع من الأتراك في العديد من مناطق الدولة العثمانية وحتى في إستانبول نفسها عام 1905م، وفي السنة التي تليها أدت إلى زعزعت مكانة الدولة العثمانية وحطت من قدرها في العالم المتمدن[59] .

- **الخاتمة:**

إن هذه الدراسة أكدت بما يدع مجالاً للشك أن هذه القضية كانت قضية حساسة جداً للدولة العثمانية وأن الدولة العثمانية تعاملت معها ربما بشكل مختلف وذلك للاعتبارات التالية:

- كان للموقع الجغرافي لأرمينيا الدور البارز في إتخاذ كل الإجراءات التي رأت فيها الدولة أنها تعالج هذه القضية خاصة وأن موقع أرمينيا نظراً لقربه من موطن العثمانيين الأصلي يفيد بالأهمية بمكان فعدم إستقرار أرمينيا كان يعني تهديد الدولة العثمانية في موطنها الأصلي . ومن ناحية أخرى فإن ما تميز به هذا الموقع حيث تمر به الكثير من الطرق التجارية فضلا عن غنى هذا الأقليم بكثير من الثروات الإقتصادية .

- طبيعة الأرمن الدينية أدت إلى تعامل الدولة مع هذه القضية بكل جدية فهي تعلم مدى أهمية هذا العامل للدول الغربية التي كانت دائماً تغذي هذا الجانب لإستغلاله وإيجاد حماية للأرمن المسيحيين كل مع طائفته التي تتبعه .

- أسباب ظهور هذه القضية لم تكن أسباب ذاتية أو داخلية فقد كانت تقف ورائها جملة من الأسباب الداخلية والخارجية فقد تأثر الأرمن بالثورة الفرنسية وتلك المفاهيم المنتشرة حول تقرير المصير كذلك إنفتاح الأرمن على الغرب وذهاب الطلبة الأرمن للدراسة في أوروبا كانت كلها تغذي ظهور هذه القضية .

- لم يكتف الأرمن بنشاطهم السياسي داخل الدولة العثمانية بل كانت لهم نشاطات خارجية أيضاً كان الهدف منها هو التعريف بهذه القضية ومحاولة كسب التأييد الدولي لها إن صح التعبير .

- أصداء هذه القضية كانت كبيرة على الصعيد الدولي فقد تداولها المجتمعين في مؤتمر سان إستيفانو على سبيل المثال .

- أكدت هذه القضية تضارب المصالح الأوروبية في الدولة العثمانية فلم تكن هناك رؤية موحدة لهذه الدول حول طريقة معالجة هذه المشكلة .السلطات العثمانية لم تتهاون مع الأرمن فنراها تعالج هذه القضية بالإستمالة تارة وبالعنف تارة أخرى .

- الآثار التي نتجت عن هذه القضية وإنعكست على الدولة العثمانية كانت كبيرة جداً فقد شجعت هذه القضية الكثير من العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية على الإنفصال كذلك الشغب والتصادم والصراع للأرمن مع الأكراد والشركس على سبيل المثال أدى إلى أنهاك الدولة العثمانية التي ما فتئت تحاول معالجة هذه المشاكل .

---

[59]. كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 76 .

- الآثار الاقتصادية كانت لا تقل أهمية على النواحي السياسية فقد خسرت الدولة العثمانية موارد إقتصادية كانت تجنيها من أرمينيا نتيجة لفرض الضرائب وغيرها .

**- قائمة المصادر و المراجع:**

- أميل ، بول ، تاريخ أرمينيا ، ترجمة: شكري علاوي ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.

- أنيس ، محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، د .ت.

- أرفعات ، مصطفى ، السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب ، ج2 ، ط1 ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، 2015 م.

- الإمام ، محمد رفعت ، القضية الأرمينية في الدولة العثمانية 1878 – 1923م، منتدى سور الأزبكية ، القاهرة، 2002م.

- بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ،ج4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1961 م.

- توفيق ، هوكر طاهر ، الكرد والمسألة الأرمينية 1877 – 1920 م، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، 1986 م.

- السلطان عبد الحميد ، مذكراتي السياسية 1889- 1908 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م.

- الجندي ، أحمد أنور، الإسلام والغرب، معالم التاريخ الإسلامي، دارالكتاب اللبناني، الطبعة الثانية ، بيروت ، د.ت.

- حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دارالأحد، بيروت، 1978م.

- الدسوقي ، محمد كمال ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة ، القاهرة، 1976م.

- زهر الدين ، صالح ، الأرمن شعب وقضية ، ط ، الدار التقدمية ، 1988 م.

- الشناوي ، عبد العزيز ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج3 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، 1983 م .

- علي ، أورخان محمد ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده الطبعة الأولى ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر 2008م .

- الغندي، محمد ثابت وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، م1، العدد الأول، 1933م.

- المحامي، محمد فريد بك ، الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ،1977م .

- المارتلن، عبدالحميد ظل الله على الأرض، ترجمة: راسم رشدي، دار الجيل القاهرة ، 1950م.

- مؤنس ،حسن ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت ، 1990م.

- نوار ، عبدالعزيز ، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية ، بيروت ،1973 م .

- يلماز اوزوتا ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان والدكتورمحمد الأنصاري، المجلد الثاني ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، إستانبول، تركيا، 1990م.

-The world Fact Book Government CIA Jaunuary 2011 p131>